



+ آباؤنا القديسون

القديسون الشهداء الأربعون المستشهدون في مدينة سبسطية

تعيّد الكنيسة المقدسة في التاسع من آذار لتذكّار شهداء مدينة سبسطية الأربعين الذين استشهدوا في القرن الرابع على عهد القيصر ليكينيوس إمبراطور الشرق، وقد قدّموا ذواتهم في وحدة متماسكة ذبيحة حيّة لله بعد أن ذاقوا أقسى أنواع العذاب، فاستحقوا المديح من الآباء القديسين باسيليوس الكبير وغيغوريوس النيصصي ويوحنا الذهبي الفم وافرّام السرياني. وقد كرّمتهم الكنيسة شرقاً وغرباً، حتى أنه يفرض إقامة قداس القديسات السابق تقديسها يوم عيدهم إذا وقع في الصوم الكبير ولم يكن يوم الأربعاء أو جمعة.

كان هؤلاء القديسون من مصاف الجنود المشهورين بشجاعتهم وقوّتهم، وقد نال الملك الغلبة على أعدائه بفضلهم، حتى أُنهم جُمعوا في فرقة واحدة وذاع صيتهم، وكان مقر إقامتهم في مدينة سبسطية في بلاد أرمينيا. ما كان يجمع هؤلاء الشبان الآتين من مختلف المناطق كان أمتن من الخدمة العسكرية. انه الإيمان بالمسيح. فقد كانوا جميعهم متمسكين بإيمانهم ومتعهدين بروح واحد على عدم ترك هذا الإيمان. وما كان يميّزهم عن باقي العسكر ليس قوّتهم فقط، بل فضائلهم المسيحية وآدابهم واحتشامهم وعبادتهم التقية، مما أثار الحساد عليهم فوشوا بهم الى الوالي الذي كان قد باشر حملة ضد المسيحيين بسبب عداوته للملك قسطنطين الذي أعطى الكنيسة السلام. قبض عليهم وسيقوا أمام الوالي الذي حاول إغراءهم بالوعود إن هم أنكروا المسيح فلم يفلح. أمر بجلدهم وتمزيق جلدهم بالأظافر الحديدية وطرحهم في السجن عليهم يرتدون ولكنهم لبثوا غير مترعزعين في إيمانهم، فأمر بتعذيبهم بشتى أنواع العذابات، وأخيراً أمر بأن يُعروا من ثيابهم ويطرحوا في بحيرة ماء تكاد تتجلّد مياهها من الصقيع، وربما كان من أصعب العذابات أن يموت الإنسان متجمداً من البرد إذ أن الوجود لا يتحمل. ذهب القديسون بشجاعة مع الجنود وطفقوا يخلعون ثيابهم بفرح كأنهم ذاهبون للإستحمام. قبل نزولهم في الماء توسّلوا الى الله أن لا ينقص عددهم ويجعلهم مستحقين لنوال أكاليل الاستشهاد الأربعين. وبالفعل فقد استجاب الله طلبتهم بطريقة عجائبية ولم ينقص عددهم عن الأربعين. نزلوا جميعهم في بحيرة المياه الباردة، وكان الوالي قد وضع مقابلهم أماكن للإستحمام بالماء الساخن حتى إذا تراجع أحدهم يستحم فوراً بالماء الساخن فيحيا.

عندما بدأت دماؤهم تتجمّد في عروقهم وابتدأت الأوجاع، رأى الحارس قرب البركة مشهداً عجائبياً، وفيه ربّ المجد مع الملائكة متحدون يوزعون الأكاليل على رؤوس الجميع باستثناء واحد منهم لم يضعوا على رأسه إكليلاً. وفيما كان الجندي مبهوتاً من هذا المشهد خرج من الماء ذلك الذي لم يُوضع على رأسه إكليلاً، مرتدداً عن إيمانه. وحالما أدخل الى مكان الإستحمام وانحلّ عنه الجليد، نخلّت أعصابه ولحمه ومات للحال. لما شاهد الحارس هذا المنظر صرخ بصوت عظيم أنا مسيحي ورمى بنفسه في البحيرة وانضمّ الى الباقيين فأصبح عددهم أربعين. بقي



+ آباؤنا القديسون

هؤلاء ثلاثة أيام في عذاب الجليد والبر الى أن أسلموا الروح وكانوا قد عاينوا قبلاً إكليل الشهادة والنصر الذي سوف يحصلون عليه في الملكوت. بعد موتهم أمر الوالي بإحراق رفاتهم وطرح رمادها في النهر الجاري. يُذكر أن أحدهم، وكان الأقوى بنيةً، صمد الى النهاية. فبعدهما وضع الجند أجساد رفاقه الشهداء على العربات لنقلها الى مكان حرقها وشاهدوه حياً أشفقوا عليه ولم يحملوا جسده عله يعيش، فما كان من والدته إلا أن دنت منه وسحبته ووضعته على العربة وقبّلته قائلة: " إذهب يا ولدي الحبيب بصحبة رفاقك الشهداء لتكمل نهاية حياتك بحريق النار، ولا تلبث وحدك منفصلاً عن أن تحصل في هذا اليوم على مشاهدة الله. " سارت بقربه مسافة قصيرة الى أن فارق الحياة وانضم الى قافلة الشهداء الأربعين.

صلواتنا اليوم بشفاعة القديسين الشهداء الأربعين أن يمنحنا الله نعمة أن نكمل جهاد الصوم المبارك ونصل الى يوم القيامة المجيد.